تعدد وصف الأجر في القرآن الكريم وأسراره البلاغية

إعداد

أحمد محمد أحمد محمود

ايميل

ahmed898912@yahoo.com

ملخص الدراسة باللغة العربية والإنجليزية

اسم الباحث : أحمد محمد أحمد محمود

عنوان البحث : تعدد وصف الأجر في القرآن الكريم وأسراره البلاغية .

مكان البحث : جامعة أسوان، كلية الآداب.

يتكون البحث من خمسة مباحث تسبقهم مقدمة تحتوى على الهدف من الدراسة واهم الدراسات السابقة وتقفوهم خاتمة ضمت أهم النتائج ثم فهرس للمصادر والمراجع .

أما مباحث الدراسة فهم كالتالي:-

- **المبحث الأول: وصف الأجر بأنه كريم .**
- **المبحث الثاني: وصف الأجر بأنه حسنا .**
- **المبحث الثالث : وصف الأجر بأنه كبير .**
- **أما المبحث الرابع: وصف الأجر بأنه غير ممنون .**
- **أما الخاتمة : فقد شملت أهم نتائج البحث .**

Abstract of the study in Arabic and English

Researcher name: Ahmed Mohamed Ahmed Mahmoud

Research title: The multiplicity of remuneration description in the Noble Qur'an and its rhetorical secrets.

Research place: Aswan University, Faculty of Arts.

The research consists of five chapters preceded by an introduction that contains the aim of the study and the most important previous studies. A conclusion includes the most important results and then an index of sources and references**.**

As for the topics of the study, they are as follows:

The first topic: He described the wage as generous.

• **The second topic**: describing the wage as good.

• **The third topic**: He described the wage as large.

• **The fourth topic**: He described the wage as great.

• **The fifth topic**: describing the wage as unfortunate.

• **Conclusion**: It included the most important results of the research.

المقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، الذي نستعين به على قضاء حوائج الدنيا والدين، والصـــلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، وعلـــى آلـــة وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

ثـــــم أما بعـــــــد:

فإن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه ، وتماسك كـــلماته، وجمله ، وآياته وسوره مبلغاً لا يدانيه كلام آخر مع تنوع مقاصده وافتنانه ، وتلوينه في الموضوع الواحد ، وإنك إذا تأملت القرآن الكريم وجدت منه جسماً واحداً كاملاً، تترابط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه ، ولمحت فيه روحاً عاماً يبعث الحياة والحـــس ، على تشابك وتساند بين أعضائه ، فهو وحدة متماسكة، متآلفة، على حين أنه كثرة متنوعة فبين كلمات الجملة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب ، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة ، متآخذة الأجزاء، متعانقة الآيات ، فبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتاباً سويَّ الخلق، حسنَ السمت، قرآنا عربياً غير ذي عوج حتى كأنه هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار.

ولما كان للباحث أجر مجاهد مرابط ، رأيت أن أتلمس بنفسي هذا الترابط والتمازج ، فإن من يتلمس بذاته يرى ذلك بعينيه ، فينتقل بروحه وعقله من عين اليقين إلـــى حق اليقين ، متيقنا بكل جوارحه ، وما أوتى بأنه كتـــاب بعيـــد عـــن الاضـــطراب والاختلاف ؛ لأنه تنزيل العزيز الحكيم، فقد كانت هذه الدراسة في (تعـــدد وصـــف الأجر في القرآن الكريم وأسراره البلاغية) محاولة لدراسة هذا الســـبيل الموصـــل لإدراك أحد أوجه الإعجاز القرآني ، وتلمس بلاغتها ، متخذة من مواضع اخـــتلاف الصفة مع الموصوف الواحد في الذكر الحكيم ميداناً للجانب التطبيقـــي التحليلـــي ، فشواهد هذا الاختلاف مبسوطة انبساط النعم على العباد.

ونستطيع أن نجمل أسباب اختيار هذا الموضوع في الآتي:

١- إبراز جانب من جوانب الإعجاز البياني القرآني ، وهو اختلاف الصفة مع الموصوف الواحد ، إذ من خلاله تتكشف لنا حقائق بيانية عديدة، كأسرار اختيار المفردات، والأساليب ، والمقاطع والقصص والابتداءات ، والتذييلات ، لأنها تتواءم مع سياقاتها ، مع مرام النظم الحكيم لها ، والإسهام في الوقوف على أسرار ، ودقائق النظم القرآني الحكيم.

٢- حاجة المكتبة العربية البلاغية إلى مثل هذه الأبحاث؛ للكشف عن بديع النظم ، وجمال المفردة وعمق المعنى والدلالة ، وحسن الأسلوب داخل هذا التنوع.

٣- الحاجة إلى هذه الدراسة التي تبرز هذا الوجه الإعجازي ، الضاربة جذوره في سور القرآن الكريم وتكشف مدى بلاغته ، ولاشك أن الموضوع قد ظهرت أهميته من خلال تعلقه بالكتاب العزيز، فاكتسب من عظمة هذا الكتاب شرفاً وفضلاً .

٤- ما تناثر في مؤلفات بعض القدماء حول لطائف نعت الموصوف الواحد بصفة هنا وأخرى هناك مع الإشارة إلى ذلك أحيانًا.

٥- التطلع إلى أن يكون هذا البحث هو الأساس لمن أراد أن يتتبع بقية الموصوفات المتصفة بالجملة وشبه الجملة في القرآن الكريم ، ويتعرف على أسرار النظم الكريم فيها.

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في خمسة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع .

أما المقدمة: فتناولت أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له .

أما المبحث الأول : فكان بعنوان : وصف الأجر بأنه كريم .

أما المبحث الثاني : فكان بعنوان : وصف الأجر بأنه حسنا .

أما المبحث الثالث : فكان بعنوان : وصف الأجر بأنه كبير .

أما المبحث الرابع : فكان بعنوان : وصف الأجر بأنه عظيم .

أما المبحث الخامس : فكان بعنوان : وصف الأجر بأنه غير ممنون .

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي وردت في هذا البحث، ثم جاء بعد الخاتمة فهرس المصادر والمراجع.

والله اسأل أن يعيذني بعد طول الأمل فيه ، وحسن الظن به من الخيبة والخسران ، آمين آمين.

وقد واجهتني بعض الصعوبات التي منها:

(أ) طبيعة البحث في القرآن الكريم عامة ، وما قد يتبعها من خوف الباحث من تحميل النظم القرآني مالا يحتمل ، أو تفسير تنوع الصفات مع الموصوف الواحد على مراد الله تعالى.

(ب) دقة مسلك هذا الفن ، وهو اختلاف الصفة مع الموصوف الواحد وغموضه.

ويجدر بنا أن نزيل كلامنا بقول ابن القيم في مقدمة كتابه "روضة المحبين" معرضا بنفسه قائلا:

وما هو ذا الذي قد نصب نفسه هدفا لسهام الراشقين، وغرضا لألسنة الطاعنين، فلقارئه غنمة وعلى مؤلفه غرمة ، والمصنف يهب خطأ المخطئ لإصابته ، وسيئاته لحسناته ، فهذه سنة الله في عباده جزاء وثوابا ، ومن ذا الذى يكون قوله كله سديداً ، وعلمه كله صواباً ؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحي يوحى؟ "[١]

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم " – ص ١٥ط . دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

كلمة الأجر

الأجر ورد في القرآن الكريم موصوفًا بعدة صفات، وهي: [كريم – حسن – كبير– عظيم – غير ممنون]

المبحث الأول :- وصف الأجر بأنه كريم

الناظر في الذكر الحكيم، يتبين له أن كلمة(الأجر): وصفت بـــ (الكريم)، في أربع آيات من النظم الحكيم، وهي علي حسب ترتيب المصحف كالتالي:

١- قال تعالي :﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ الأحزاب ٤٤

٢- قال تعالي : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ يس: ١١

٣- قال تعالي :﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾الحديد: ١١

٤- قال تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد: ١٨ (١)

وسوف اكتفي بشرح وتحليل آيتين فقط من هذه الآيات:

وقبل التعرض لدراسة تلك الآيات، ومعرفة السر الذي من أجله نعت (الأجر) بأنه (كريم)، ينبغي الوقوف على ما قاله أهل العلم، عن معنى اللفظين: (الأجر، الكريم)، حتى يكون القارئ على بينة من دلالة هذين اللفظين، قبل التطواف حول تلك الآيات، والتقاط ثمارها، ومعرفة بعض من مكنون أسرارها.

الأجر: الجزاء على العمل، والجمع: أجور، والإجارة من أَجَّرَ يَأْجُر، وهو ما أعطيت من أجر في العمل.(٢)، والأجْر والأُجرة: ما يعود من ثواب العمل دنيويًا،

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف– الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقي – ص ٧٠٦ – دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٣٦٤

(٢) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل– القاهرة ج ص ١٠ ، الجزء الرابع

أو أخرويًا، والأجْر والأُجرة: يقال فيما كان من عقد، أو ما يجري مجرى العقد، ولا يقال إلا في النفع دون الضر.

أما(الكريم): فهو اسم جامع لكل ما يحمد، فالله عز وجل كريم حميد الفعال... وقيل في شأن القرآن، قال الفراء: العرب تجعل الكريم تابعًا لكل شيء نفت عنه فعلاً تنوي به الذم، يقال: أسمين هذا؟ فيقال: ما هو بسمين ولا كريم.(١)

و(الكريم): النفيس، العزيز وكرائم الأموال: الأموال النفيسة العزيزة علي أصحابها.(٢)

هذه بعض دلالات اللفظيين، وما اكتنفا من معان، أريد تذكرة القارئ بها، وتنبيهه إليها.

أما عن الآيات محل الدراسة، فأول ما يطالعك منها، قوله تعالي: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ الأحزاب٤٤ ، والآية الكريمة تبين بعضا من آثار رحمته سبحانه وتعالى، الفائضة على المؤمنين، بعد دخول الجنة، عقب بيان آثار رحمته العاجلة، التي وصلت إليهم في دار الدنيا، ثم يستأنف النظم الكريم نوعًا آخر من أنواع الإكرام، له مكانه اللائق به، فيقول: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ وهذه الجملة مناسبة لحالهم السابق، ملائمة له، لأنهم لما ذكروا الله في الدار الدنيا، حصل لهم بسبب ذلك الذكر، نوع من أنواع المعرفة به جل في علاه، ولما سبحوه تأكدت تلك المعرفة، حيث عرفوه كما ينبغي، بصفات الجلال ونعوت الكمال، والحق- سبحانه وتعالى- يعلم بحالهم هذا، ومن ثم أحسن إليهم، وأكرمهم عند وفادتهم عليه سبحانه، بهذه التحية التي خصهم بها، وقد انطوى القول الكريم: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ على

---

(١) لسان العرب لابن منظور- مرجع سابق

(٢) معجم لغة الفقهاء ١ /٣٨ ، كتاب من الحاسب الآلي ، المكتبة الشاملة ، قسم معاجم اللغة الأخرى .

مظهرين جليلين: الأول: أن تلك الجماعة المؤمنة تلقى الله تعالى، وتكرم بالمثول في حضرة قدسه جل في علاه.

الثاني: هو أن الحق جل في علاه، يقبل على تلك الجماعة المؤمنة، التي ذكرته وسبحته في الدنيا كثيرًا، ويكلمهم ويحييهم بالأمن والسلام في يوم الفزع الأكبر، وما أبرها تحية، وما أبردها على قلوب المؤمنين!! ثم انظر إلى إيجاز التحية، وكيف جاءت بلفظ واف ﴿ سَلَٰمٌ ﴾، وما وراء ذلك من الدلالة علي سلطان الربوبية، وما بها من إكرام وإنعام، ثم إنه لفظ ملئ جدًا، ثم انظر كيف وصف الأجر بأنه كريم، والذي يوصف بالكرم الذي أعد الأجر، ولكن وصف الأجر بأنه كريم، يعني أن الكرم تعدى من الرب سبحانه الذي أعد الأجر بنفسه، إلى الأجر، حتى صار هو أيضا كريما.[١] بحيث يأتيهم عفوا صفوا، من غير شوب نغص، أو كدر في شيء منه.[٢] ولعل في هذا البناء اللفظي ما يبين ما فيه من جمال، حيث أن بنيته العميقة تدل علي بنائه علي طريقة المجاز، الذي يعمل فيه العقل أكثر مما تعمل فيه اللغة.

أما الآية الثانية التي وصف فيها الأجر بأنه (كريم) فقد جاءت في سياق الإنذار المؤدي إلى اتباع الحق، والالتزام بجادة الطريق، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ يس:١١ وسياق الإنذار هذا لم يكن مبدؤه تلك الآية، بل بدأ بقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ يس: ٦ إلى أن قال: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ يس:١٠ – ١١ .

وهنا لما تضمن قوله: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أن الإنذار في جانب الذين حق عليهم القول هو وعدمه سواء، كان ذلك قد يوهم انتفاء الجدوى من

(١) تفسير الشعراوي ٧٥٠٤ بتصرف ، كتاب من الحاسب الآلي – المكتبة الشاملة – قسم التفسير

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٤٦٩/٥ بتصرف –دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

إنذار الغير، ومن ثم أعقب هذه الآية ببيان جدوى الإنذار، بالنسبة لمن اتبع طريق الحق، وخشي رب الأرباب، فقال: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾.[١]

ولما دل السياق على أن من تقبل هذا الإنذار، وأدرك ما وراءه، قد نفع نفسه، تشوقت النفس لمعرفة كيف يكون جزاؤه، ومن ثم جاءت (الفاء) دالة على سرعة ما لحقه من جزاء، وما أدركه من ثواب، فقيل :﴿ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴾ وقد أفادت هذه الفاء ترتيب البشارة، أو الأمر بها على ما قبلها، من اتباع الذكر والخشية[٢] .

وإنما كان لهم من الأجر الكريم، لأنهم كانوا أكرم من غيرهم في قبول داعي الهدى والحق، حيث فتحوا لدعوته قلوبهم، وأنسوا به، واطمأنوا إليه، واستجابوا لما يدعوهم إليه، بينما رفض غيرهم استقباله، والإنصات إليه أصلا، فضلا عن كونهم تفكروا فيه، وأنسوا به ومن هنا كان جزاؤهم من جنس عملهم.

(١) ينظر التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور– الدار التونسية للنشر – تونس – ١٨٨٤ م

(٢) روح البيان لإسماعيل حقي ٧ / ٢٩٢ – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المبحث الثاني :- وصف الأجر بأنه حسن

والحسن في اللغة: ضد القبيح.(١) وهو عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وأكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر، يقال: رجل حسن، وامرأة حسناء.(٢)

هذا وقد وصف الأجر بكونه حسنا، في آيتين كريمتين من الذكر الحكيم، هما قوله تعالى:

١ - ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف:٢

٢ - ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح: ١٦(٣)

أما قوله سبحانه في سورة الكهف: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾، فقد جاء بعد وصف الكتاب المنزل على خير البشر ﷺ، بأنه متصف بصفات الكمال، حيث قال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ .. ﴾ الكهف: ١ – ٢، ومعنى قوله: ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾، أنه في غاية الاستقامة، فلا تناقض، ولا اختلاف في معانيه، ولا عي في تراكيبه ومبانيه.(٤)

ثم زاد هذه الاستقامة تأكيدا بقوله:(قيما) أي مستقيما، ليضيف صفة أخرى إلي هذا الكتاب المنزل، وذلك لأن من معاني القيم: المهيمن على ما دونه، كما نقول: فلان قيم على فلان، أي: مهيمن عليه وقائم على أمره، فالقرآن إذا لا عوج فيه، وهو

---

(١) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، المتوفي سنة ٣٢١ه –حققه وقدم له د/ رمزي منير بعلبكي –دار العلم للملاين– بيروت–لبنان–ط الأولي:نوفمبر١٩٨٧م

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ ه ت تح محمد سيد كيلاني

(٣) المعجم المفهرس ، ص ٢٤٨

(٤) البحر المحيط ٤١٢/٧ بتصرف– تحقيق/الشيخ/عادل أحمد عبد الموجود وآخرين–دار الكتاب العلمية–بيروت– لبنان– الطبعة الأولي١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م .

مهيمن على الكتب السابقة، وله الوصاية عليها، لكونه جاء مفصلا وموضحا لكل شيء، بما لا يدع مجالا للاختلاف حوله، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ **النحل:** ٨٩ ولا يخفى ما في القول الكريم من الاحتباك، حيث حذف المنذرين لثبوت المبشرين الدالين عليهم.

والناظر إلى آية سورة الكهف يرى أنها جاءت في سياق يغلب عليه ظل الإنذار الصادر في التعبير كله، وهو يبدأ به على وجه الإجمال فيقول: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ ثم يعود إليه على وجه التخصيص فيقول:﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ الكهف: ٤ ، وبين الإنذارين تبشير للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، بهذا القيد الذي يجعل للإيمان دليله العملي الظاهر المستند إلي الواقع الأكيد، ثم يأخذ السياق في كشف المنهج الفاسد الذي يتخذه الكفار للحكم على أكبر القضايا وأخطرها، وهي قضية العقيدة، فيقول عمن يقولون: إن لله ولدا ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ فما أشنع وما أفظع أن يفضوا بهذا القول بغير علم، هكذا جزافا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ **الكهف: ٥**(١)

إذا فسياق الآيات إنذار وتخويف، ولكن النظم الكريم لما أراد أن يبعث الطمأنينة في قلوب أولئك المؤمنين – الذين ترجموا إيمانهم بالعمل الصالح، والمداومة على الطاعة– جاء وسط هذا الإنذار ببشارتهم على الإيمان والعمل الصالح، وأخبر أن لهم على هذا العمل أجرًا، ثم وصف هذا الأجر بالحسن، والمتأمل في النظم الكريم يرى أن الوصف بالحسن هنا، هو الأنسب والأليق في مكانه، لما فيه من تهدئة الروع وإزالة الفزع، وذلك حتى لا يكون لأهل الإيمان وحشة أو تخوف من الأجر الذي ينتظرهم، لما علموا من سابق عهد بالذكر الحكيم أن البشارة فيه قد تأتي بغير ما يسر المبشرين أحيانا، وذلك على سبيل التهكم والسخرية .

---

(١) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب –ط دار الشروق–القاهرة –بيروت–ط الشرعية الأولي :١٩٧٢م –ط الشرعية الثانية والثلاثون:١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م

المبحث الثالث :- وصف الأجر بأنه كبير

الكبير: الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر، يقال: هو كبير وكُبَار وكُبَّار[١] ، واستكبر الشيء: رآه كبيرا وعظم عنده.[٢]

وقد ورد وصف الأجر بكونه كبيرا في خمس آيات من الذكر الكريم هي قوله تعالى:

١ - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هود: ١١

٢ - ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩

٣ - ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ فاطر: ٧

٤ - ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الحديد: ٧

٥ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الملك: ١٢ [٣]

وسوف اكتفي بشرح وتحليل آية فقط من هذه الآيات (آية سورة هود)

والناظر إلى تلك المواضع الخمس يرى أنها تشترك جميعها في أمر واحد يربط بين بعضها البعض، ألا وهو عمل الصالحات بمفهومه الواسع، ثم يبين له أنه قد ارتبط بهذا الأمر بعض الأمور الخاصة التي تندرج تحت عمل الصالحات مثل: الصبر والإنفاق والخشية، وكلها أمور لها بالغ الأثر في جعل الأجر عليها كبيرا – كما سيتضح فيما بعد.

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا، المتوفي سنة ٣٩٥هـ-بتحقيق وضبط /عبد السلام محمد هارون-دار الفكر للطباعة والنشر للتوزيع

(٢) لسان العرب ٥ / ١٢٥ .

(٣) المعجم المفهرس ٦٩٤

فأول دواعي وصف الأجر بكونه كبيرا هو عمل الصالحات المتلبس بالصبر وذلك في قوله تعالى :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ والاستثناء الذي صدرت به الآية الكريمة " إلا " استثناء من جنس الإنسان الوارد في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ هود: ٩ – ١١

ولولا هذا الاستثناء لكان كل البشر ينطبق عليهم الحكم الصادر في الآيتين السابقتين: حكم اليأس والكفر عند الشدائد، أو الفرح والفخر عند العطاء، دون تذكر واهب النعم سبحانه وتعالى، ولكن هذا الاستثناء جاء ليطمئن الذين صبروا من المؤمنين على ما قد يصيبهم في أمر الدعوة، في ذواتهم أو شئونهم بتقدير منه سبحانه لحكمة يعلمها جل في علاه.(١)

وإنما وصف النظم الكريم الأجر في هذه الآية بكونه كبيرا لما يبقه من بعض المرشحات التي كانت بمثابة التوطئة والتمهيد لأن يكون كبيرا، وذلك بين واضح في قوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ حيث أن الصبر على الشدائد، وتحمل المكاره، ونزول البلايا، أمر له من الأجر عليه، ما لا يعلم مقدار كنهه إلا الله – سبحانه وتعالى –

فإذا أضيف أجر هذه إلى تلك ، وأجر تلك إلي هذه، نتج عن ذلك أجر كبير لا يعلم كمه وكيفه إلا الله – تعالى شأنه – وهذا دليل على مقتضى عدل الله سبحانه الذي وعد من عمل صالحا بأن له على ذلك أجرا أفضل مما عمل، بدليل قوله:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ **النحل:** ٩٧ فقد بان واتضح أن الصبر وعمل الصالحات، كان لهما كبير الأثر في وصف الأجر بكونه كبيرا.

(١) تفسير الشعراوي ٤١٤٨ بتصرف .

المبحث الرابع :- وصف الأجر بأنه غير ممنون

غير الممنون: بمعنى غير المقطوع من قولهم: حبل منين إذا انقطع وخلق، وقيل: من المن: أي لا يمن به عليهم.(١)

وقد ورد هذا الوصف في أربع آيات من الذكر الحكيم في قوله تعالى:

١ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ فصلت: ٨

٢ - ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾ القلم: ٣

٣ - ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ الانشقاق: ٢٥

٤ - ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ التين: ٦

وبمراجعة الآيات السابقة، يتبين أن ثلاثة منها خصت بالحديث عن المؤمنين على وجه العموم، وذلك في آيات فصلت، والانشقاق، والتين، وآية منها خصت بالحديث عن النبي ﷺ ألا وهي آية القلم. ويتبين كذلك أن الآيات الثلاث التي خصت بالحديث عن المؤمنين، ذكرت لهم وصفين لا ثالث لهما، ألا وهما: الإيمان، والعمل الصالح، ثم ذكرت الأجر المترتب على ذلك ، بينما في الحديث عن النبي ﷺ تمخضت الآية كلها لبيان أجره ﷺ الذي أعده الله له، دون أن تذكر شيئا من عمله ﷺ.

وأول الآيات التي ذكرت هؤلاء المؤمنين وأجرهم، هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ فصلت: ٨ .

وإنما كان لهؤلاء – ابتداء – أجر، لأنهم جمعوا بين أمر الدين كله، وذلك عن طريق الإيمان والعمل الصالح، فاستحقوا أن يكون لهم على عملهم هذا الأجر من الله سبحانه وتعالى، ولكن الحق – سبحانه – جعل لهم أجرا مخصوصا، ونعته نعتا دقيقا، حيث قال: ﴿ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾، وغير الممنون، بمعنى غير المقطوع، من قولهم (حبل متين): إذا انقطع وخلق، وقيل: من المن: أي: لا يمن به عليهم(٢) وإنما

---

(١) اللسان ١٣ / ٤١٥ .

(٢) اللسان ١٣ / ٤١٥ .

كان لهم أجر غير ممنون؛ لأن الحق سبحانه ذكر حال السابقين عليهم من المشركين، فقال: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ **فصلت: ٦ – ٧ .**

وكان الحق – سبحانه – أراد أن يضع بين عينيك صورتين متقابلتين، بين فريقين متضادين متناقضين، فكما أن الذين كفروا لهم عذاب مقيم، لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون، فكذلك من آمن وعمل صالحا، له أجر غير مقطوع، ولا منقوص، بل هو مستمر دائم، ما دام الواحد القهار، وما دامت الجنة والنار، لتدرك الفرق بين الفريقين، والقدر بين الجزاءين.

أما الاستثناء الوارد في آية التين، فتتوقف دلالته على معرفة المراد من قوله:﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ التين: ٥ حيث يقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ .. ﴾ التين: ٤ – ٦ فذهب البعض إلى أن المراد به: أسفل النار، في موضع العصاة والمتمردين على ربهم.(١)

والاستثناء على ذلك متصل ظاهر الاتصال؛ لأن الصالحين مستثنون من الرد إلى ذلك الموضع وما فيه من العذاب، وإنما رد الإنسان بعد خلقه، في أحسن تقويم، إلى أسفل سافلين، لعدم جريانه على موجب ما خلق عليه، من الصفات التي لو عمل بمقتضاها، لكان في أعلى عليين(٢) ينعم بلذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة في أبد لا يزول ونعيم لا يحول، وذلك بحق أجر غير ممنون.(٣)

وإنما كان أجره ﷺ ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ لأنه ﷺ أعلى رتبة، وأرفع منزلة ومكانة ودرجة بين المؤمنين الذين وصف الحق أجرهم بأنه: ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ لأنه ليس من المنطق أن يكون أجر الأتباع أعلى وأدوم من أجر نبيهم، وإن كان وصف الأجر بين المؤمنين

---

(١) ينظر: التفسير الكبير ٣٢ / ١٢ ، وتفسير السعدي ، ص ٩٢٩ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود ٩ / ١٧٥ .

(٣) تفسير السعدي ٩٢٩ بتصرف .

والنبي ﷺ يتفق في الصيغة:﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ إلا أن بينهما – بلا شك أو مراء– اختلافا في الكم والكيف والمعنى المترتب على كلٍ، وذلك على حسب منزلة وقرب كلٍ من ربه، ولا خلاف في أنه ﷺ الأعلى والأقرب منزلة ممن سواه، هذا من وجه، والوجه الآخر الذي يجعل أجره ﷺ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع أنه ﷺ دعا أمته إلى كل خير وحذرهم من كل شر، فامتثلت أمته ما جاء به، وعملت بما دعا إليه، وكان لهم على ذلك من الله أجر ....ومن ثم كان له ﷺ مثل أجورهم التي منحوا إياها؛ لأنه هو الذي دلهم على عمل الخيرات وترك المنكرات، ودليل ذلك قوله ﷺ : " من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء. (١)

(١) مسند الإمام أحمد ٣١ / ٤٩٥ بقم ١٩١٥٦ ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التأملية في إحدى الظواهر القرآنية ، ألا وهى ظاهرة اختلاف الصفة المفردة مع الموصوف الواحد يمكن رصد النتائج الآتية :-

- أن مع الإقراض والدعوة إليه يكون الأجر كريما ، لأن الذى يقرض الله قرضا حسنا ، ويخرج نفائس أمواله لمن هدته الحاجة ، وكدته الفاقة ، فذلك رجل كريم ، ومن ثم استحق أن يكون جزاؤه من جنس عمله ، حيث ضوعف له أجره على قرضه –من باب الكرم–إلى ثمانية عشر.
- وقوع وصف الأجر بالحسن في سياق يغلب عليه ظل الإنذار الصارم الخاص بالكافرين كما في آية الكهف ، أو في سياق الحديث عمن وقعت منهم معصية كبيرة ، كما في المخلفين من الأعراب ، كما هو الشأن في سورة الفتح.
- وصف الأجر في مقام الإنفاق بأنه كبير ، لأن صاحب المال دائما ما يتطلع إلى الربح والزيادة ، ومن ثم وعد بأجر كبير ، حتى تطمئن نفسه إلى أن ماله الذى أنفقه في تجارة رابحه مع الله ، فلا خسارة تحتمل أو ضياع للمال ينتظر ، ويلاحظ أن لفظ كبير في الآيات كلها جاء ليقابل رضوان الله في الجنة .
- في وصف الأجر بالنسبة للمؤمنين بأنه غير ممنون ، ذكر لهم عمل كان ركيزة فى نعت أجرهم بذلك ، بينما في وصف أجر النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه غير ممنون ، لم يذكر له عمل ، وذلك لأنه الجامع لكل صنوف الخير وأنواع البر .
- في جميع المواضع التي وردت فيها كلمة الأجر جاءت منكرة وجاء نعتها منكرا كذلك ، وفى ذلك دلالة على التعظيم والتكثير المتعلقين بالموصوف والصفة .

فهرس المصادر والمراجع

م	المراجع
١	الجامع لأحاكم القرآن للإمام / القرطبي ت ٦٧١ هـ تح/ الدكتور/عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ومحمد رضوان عرقسوسي – مؤسسة الرسالة – ط الأولى : ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .
٢	روح البيان : لإسماعيل حقي – دار إحياء التراث – بيروت .
٣	روح المعاني للألوسي البغدادي ت ١٢٧٠ هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان .
٤	لسان العرب : لابن منظور ط دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج .
٥	لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : للدكتور فاضل صالح السامرائي – دار عمار .
٦	متشابه النظم القرآني بين الذكر والحذف – رسالة دكتوراه – من إعداد الباحث / سلامة دردير محمد على – مخطوط في كلية اللغة العربية – أسيوط – نسخة مودعة بمكتبة الجعفري ببني عدي.
٧	مسند الإمام أحمد ٣١ / ٤٩٥ برقم ١٩١٥٦ ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م
٨	المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المتوفى سنة ٧٧٠ هـ – تحقيق / د / عبد العظيم الشناوي – دار المعارف – ط الثانية .
٩	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف : وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – القاهرة – دار الكتب المصرية – ١٣٦٤ هـ .
١٠	المعجم الوسيط : تأليف مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعاجم وإحياء

التراث – مكتبة الشروق الدولية – ط الرابعة : ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

١١ معجم لغة الفقهاء : كتاب من الحاسب الآلي – المكتبة الشاملة – قسم معاجم اللغات الأخرى.

١٢ معجم مقاييس اللغة : لأحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ – بتحقيق وضبط / عبد السلام محمد هارون – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٣ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ت٥٠٢ هـ ت تح / محمد سيد كيلاني